الرسالة

(كولوسي ٣: ٤-١١)

يا إخوةُ متى ظهرَ المسيحُ الذي هو حياتُنا فأنتم أيضًا تَظهرون حينئذٍ معهُ في المجد* فأَمِيتوا أعضاءَكم التي على الأرضِ الزنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئة والطمعَ الذي هو عِبادةُ وثنٍ* لأنَّهُ لأجلِ هذه يأتي غضبُ الله على أبناءِ العِصيان* وفي هذه أنتم أيضًا سلكتُم حينًا إذ كنتم عائشينَ فيها* أمَّا الآنَ فأنتم أيضًا اطرَحوا الكُلَّ الغضبَ والسَّخَطَ والخُبثَ والتجديفَ والكلامَ القبيحَ من أفواهِكم* ولا يكذِبْ بعضُكم بعضًا بل اخلَعوا الإنسانَ العتيقَ مع أعمالِه* والبَسوا الإنسانَ الجديدَ الذي يتجدَّدُ للمعرفةِ على صورةِ خالقِهِ* حيثُ ليس يونانيٌّ ولا يهوديٌّ لا خِتانٌ ولا قَلَفٌ لا بَربريٌّ ولا إسكِيثيٌّ

قيمة القدّاس الإلهيّ في حياتنا

قلّة من الناس تتحسّس قيمة الحدث الجسيم الحاصل صباح كلّ أحد، وفي كلّ قدّاس، على مذبح الكنيسة وفي قلوبنا. قلّة أندر تعيش مفاعيل القدّاس الإلهيّ وقيمته التقديسيّة في حياة الشخص والأسرة والمجتمع والعالم.

نستطيع تعريف عمل النعمة الإلهيّة الحاصل في حياتنا خلال القدّاس الإلهيّ بأنّه إغناءٌ مستمرّ للخليقة بنعمة الله، عبر مشاركة المؤمنين المستمرّة في الصلاح الإلهيّ. يقترب إلينا الله بواسطة عطاياه الإلهيّة، أمّا نحن فنحصل على هذه الخيرات السماويّة من خلال تناول جسد الربّ يسوع ودمه الكريمَين.

يشاء الربّ أن يدنو منّا، ويسكن معنا، في قلوبنا، وأن يُظهر حضوره في حياتنا، ويكشف لنا سرّ محبّته السرمديّة، ويهبنا كلّ معرفة إلهيّة وحكمة. في القدّاس الإلهيّ، نعرف الله الآب، ونلمس بنوَّتنا له؛ نتّشح بمحبّته التي أغدق بها علينا في تجسّد ابنه الوحيد الذي تبنّانا في صلبه وقيامته.

ترتبط معرفة الله، بشكلٍ أساسيّ، بظهور الله للإنسان. ظهورُ الله عبر حلول الروح القدس على القرابين هو أسمى مجال للامتلاء من معرفة الله والتنعّم بحضوره، وهو ما يؤدّي إلى إغناء وجودنا على الأرض، وإحالته إلى «الوجود الحَسَن»، بحسب تعبير القدّيس مكسيموس المعترف (٢١ كانون الثاني).

يمنحنا حضور الربّ في حياتنا سلامًا وقوّة. الإنسان الذي يلمس حضور الربّ وافتقاده في حياته يمتلئ نورًا وقوّة، فيتخطّى ضعفاته وما يعيق انفتاح قلبه على محبّة الله والإخوة. يمتلئ قلب الإنسان المحبّ للمسيح فرحًا ورجاءً، فيقوى على طرد كلّ ظلمة وإحباطٍ ويأس، ويصير مصدرًا للرجاء والتعزية لإخوته. هكذا ندخل، في القدّاس الإلهيّ، بشركة مع القدّيسين؛ ندخل في علاقة مباشرة مفتوحة مع أصفياء الله؛ نعاشر القدّيسين في الكنيسة، ونستمدّ منهم بركة الشفاعة وخير سند في سائر أمور حياتنا، الصغيرة منها والكبيرة.

العدد ٢٠٢٠/٣

الأحد ١٩ كانون الثاني

تذكار البار مكاريوس المصري

والقديس أرسانيوس أسقف كركرة

والقديس مرقس الأفسسي

اللحن السادس

إنجيل السَحَر التاسع

يجعلنا القدّاس عائلة الله الواحدة. إنّه سرّ الشركة، سرّ قبول الإنسان لمواهب الروح القدس ونموّه في حياة النعمة. نتّحد في القدّاس الإلهيّ عبر جسد المسيح الواحد، وفيه، لنصير نحن جسد المسيح وكنيسته المجيدة. نتّحد كالأغصان في الكرمة (يو ١٥: ٥) وكالأعمدة و«الحجارة الحيّة» في بيت الله (١بط ٢: ٥). نختبر علاقات فريدة بين الناس، علاقات نقيّة، تقوم على الفضيلة والعفّة والنقاوة، وعلى العطاء غير الأنانيّ، والإنتباه الموضوعيّ إلى وصايا الله ومشيئته.

نسمع، في القدّاس الإلهيّ، المسيح الذي يخاطبنا في الإنجيل إن أحسنّا الإصغاء؛ يخاطبنا بشكل شخصيّ؛ ينظر إلى قلب كلٍّ منّا ويهبه ما يوافقه. يعرف رعيّته ورعيّته تعرفه (يو ١٠: ١٤). يعرف خصوصيّة كلّ عضو في كنيسته، ويسهر على خيره، فيرشده إلى ما فيه بنيانه وخير إخوته.

يعلن الله وجهه للّذين يطلبونه في الصلاة والعبادة. إلّا أنّ الإعلانات الإلهيّة تتّخذ خصوصيّةً وفرادةً وحصريّةً ضمن جسم الجماعة الكنسيّة. مفاعيل نعمة الروح القدس تُثمِرُ في هذا الإطار فقط. حضور الرّوح القدس الذي يربطنا بالإله المثلّث الأقانيم، وعملُ النعمة في حياة الإنسان يميّزان الكنيسة عن أيّ مؤسّسة أُخرى على الأرض.

الكنيسة هي بيت الآب الذي يجد فيه الإنسان هويّته الحقيقيّة. يجد فيها معنى حياته ووجوده على الأرض، ويجد فيها دعوته الأصليّة للاتّحاد بالآب والتنعّم بنور محبّته. «نعمة ربّنا يسوع المسيح ومحبّة الله الآب وشركة الروح القدس» (٢كو ١٣: ١٤) تجعل من الإنسان خصّيص الله وابنه بالفعل.

القدّاس الإلهيّ ينبوع لا ينضب للعطايا الإلهيّة وللصالحات السماويّة التي تجعل من واقع المجتمع والتاريخ مجالًا للخير والبرّ والفضيلة. وحدها النعمة المعطاة للإنسانيّة في القدّاس الإلهيّ تغلب ما في العالم من شرّ وظلمة. وحده الصلاح الإلهيّ المنسكب على المؤمنين في العبادة الحقّة يسلّحهم ضدّ حيل الشرّير وظلمة الخطيئة. الإنسان الذي يختبر دفء بيت الآب لا يعود ينجرّ إلى الطرق المعوّجة والمسالك الباطلة، بل يجد في دعوة الله له خير تعزية وشبع وشوق متزايد للامتلاء من حضور المسيح.

يشاء الله الآب أن يقرّبنا منه، لأنّه أب متحنّن؛ يشاء أن يضمّنا إلى خراف رعيّته الناطقة، وأن يجعلنا شركاء في مجد طبيعته الإلهيّة الفائقة العالم (٢بط ١: ٣)؛ يشاء أن ننال ميراثه السماويّ مع القدّيسين في السموات. هذا ما أدركه قدّيسو الكنيسة، فعشقوا المسيح وجعلوا محبّته الغاية الأولى لحياتهم. أدركوا غنى محبّة الله الآب فسعوا من كلّ قلوبهم إلى الاتّحاد بها والامتلاء من نورها؛ وجدوا اللؤلؤة الثمينة في كنيسة المسيح المجيدة، فباعوا كلّ شيء من أجل التنعّم باقتنائها. كانوا يتحضّرون لكلّ قدّاس إلهيّ بورع شديد، بتوبة وإعتراف، وبصلاة عميقة وتخشّع ومهابة، حتّى باتت المناولة الإلهيّة الحدث المحوريّ في حياتهم، والمجال الأرحب لمعرفة الله، و«لكي تكون لهم حياة وتكون لهم أوفر» (يو ١٠: ١٠). «تكون لهم حياة» بالمعموديّة وبأسرار الكنيسة، «وتكون أوفر» في البرّ والقداسة.

دعوتنا هي أن نتنعّم بخيرات بيت الآب، أن يصير القلب مذبحًا للربّ مقدَّسًا ومكانًا لحلول نعمته لا عبدٌ ولا حرٌّ بل المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

الإنجيل

(لوقا ١٧: ١٢–١٩)

في ذلكَ الزمانِ فيما يسوعُ داخلٌ إلى قريةٍ استقبلهُ عَشَرَةُ رجالٍ بُرصٍ ووقفوا من بعيدٍ* ورفعوا أصواتَهم قائلين يا يسوعُ المعلّمُ ارحمنا. فلمَّا رآهم قال لهم أمْضوا وأروا الكهنةَ أنفسَكم. وفيما هم منطلِقون طَهُروا* وإن واحدًا منهم لمَّا رأى أنَّهُ قد بَرِئَ رَجَعَ يُمجِّدُ اللهَ بصوتٍ عظيم* وخرَّ على وجهِهِ عند قدَمَيْهِ شاكرًا لهُ وكان سامريًّا* فأجاب يسوعُ وقالَ أليسَ العَشَرَةُ قد طَهُروا فأين التِسْعَة* ألَم يوجَد مَن يرجِعُ ليُمجِّدَ اللهَ إلَّا هذا الأجنبيَّ* وقال لهُ قُمْ وامضِ. إيمانُك قد خلَّصَكَ.

تأمل

«إطرحوا الكلّ الغضب والسخط والخبث والتجديف والكلام القبيح».

الغضب يحتضن الشكوى، وإذ تتلهّف النفس إلى الثأر تحتّضنا باستمرارٍ

على مجازاة الذين أهانونا. في الواقع، ما إن يطرد الغضبُ الرشدَ بنجاحٍ حتى يتسلّط على النفس، فيجعل الإنسان بهيميًّا تمامًا. بل ولا يُجيز له أن يكون إنسانًا حقًّا على الإطلاق، إذ يخلُص عاجلًا إلى تلقّي مساعدة عقله. هكذا يكون المستعبَدون لهوى الغضب هذا مماثلين للحيوانات السامّة، فيصبحون كالكلاب المسعورة، ويندفعون كالعقارب، ويلدغون كالأفاعي... وبسبب الغضب، تصبح الألسنة طليقة العنان والكلام غير مضبوط، كما أنّ العنف الجسدي يولَد من الغضب أيضًا. إذًا، الغضب ضربٌ من الجنون الخاطف عند ضحاياه، وهو لا يهدأ إلى أن يوجِّهوا إساءةً ما أو يؤذوا أنفسهم.

من الأهميّة بمكان ألاّ تقضي لنفسك بأنّك مستحقٌّ لأيّة مكافآت عظيمة وألاّ تظنّ بأنّ كلّ إنسانٍ هو دونك في المستوى. أمّا لو تخلّصت من هذين العيبين، فسوف يستحيل على الغضب أن يستيقظ فيك، وظهور مجده. هذا ما تدعونا كنيستنا المقدّسة اليوم لنعيشه ونتذوّقه في القدّاس الإلهيّ.

قدّيسان جديدان

أعلن المجمع المقدّس للبطريركيّة المسكونيّة رسميًّا، في ٢٧ تشرين الثاني ٢٠١٩، قداسة إثنين من الآباء الروحيّين المُعاصرين، هما: البار صفروني (ساخاروف) تلميذ القدّيس سلوان الآثوسيّ وكاتب سيرته، والبار إيرونيموس الرئيس الأسبق لدير القدّيس سمعان «سيمونوس بيتراس» الآثوسيّ. كلٌّ من الأبَوين البارَّين له سيرته المليئة بالجهادات وببصمات القداسة، لكنّنا نكتفي فيما يلي بالقليل، من أجل التعريف عنهما.

وُلد صفروني في روسيا، في ٢٣ أيلول ١٨٩٦، لعائلة رفيعة الشأن ميسورة الحال ومتعدّدة الأولاد. الغنى الحقيقيّ للعائلة كان إلتزامها الإيمانيّ وفضائلها وتقواها. تربّى في هذا الجوّ المُبارَك، على حبّ الصلاة وعشرة الكتب المقدّسة وسِيَر القدّيسين، لا سيّما أنّه كان، منذ الصغر، رقيقًا وذا روح شفّافة. لعلّ هذا ما نمّى فيه أيضًا الميل إلى الفنون الجميلة، خصوصًا الرسم الذي بدأ بتعلّمه أكاديميًّا، ما إن سمح له عمرُه بذلك. عام ١٩٢٢، إثر توالي ويلات الثورة البولشيفيّة على روسيا، هاجر صفروني إلى باريس لإكمال رحلته الفنّيّة. أتاح له وجوده في باريس عرض لوحاته في أكثر من معرض فنّيّ، فلفتت أعماله أنظار المهتمّين من هواة ونقّاد. لقد كان يحاول، من خلال الفنّ، التأمّل في أسرار الكون وفي الحياة والموت، كما في «سرّ الله في خلقه» حسب تعبيره هو. أيضًا، بحث في الفلسفة وفي التعاليم الصوفيّة الشرقيّة، من دون جدوى، فوجد نفسه عائدًا بقوّة، إلى الإيمان الأرثوذكسيّ.

يوم السبت العظيم، سنة ١٩٢٤، عاش صفروني خبرة النور غير المخلوق التي لازمته حتّى اليوم الثالث من أسبوع التجديدات، فالتحق على إثرها بمعهد القدّيس سرجيوس اللاهوتيّ في باريس. لم تشبع دراسة اللاهوت توقَه إلى معرفة الله، فانتقل سنة ١٩٢٦ إلى جبل آثوس، طالبًا الحياة الرهبانيّة. هناك، أمضى ١٥ سنة في دير القدّيس بندلايمون، حيث أصبح تلميذًا للقدّيس سلوان الآثوسيّ، لينتقل بعد رقاد هذا الأخير إلى المناسك الجبليّة. سيم كاهنًا عام ١٩٤١، ثمّ ما لبث أن أصبح أبًا روحيًّا لعدد من أديرة الجبل ومناسكه. حوالى العام ١٩٤٨ تدهورت صحّته بشدّة، فاضطرّ إلى مغادرة الجبل المقدّس، فعاد إلى باريس حيث سكن في دار للمسنّين تابعةٍ للكنيسة الروسيّة. عاون هناك كاهنَ الدار فكان مُعَزِّفًا لا للنزلاء فقط، بل لكثيرين من خارج الدار أيضًا، سمعوا عنه وصاروا يتوافدون إليه بانتظام. كذلك تجمّع حوله عدد من الشبّان والشابّات الملتزمين والراغبين في حياة التوحُّد. لم تعد دار المسنّين ملائمةً لنمط الحياة التي نظّمها الأب صفروني لمجموعته الجديدة، كما أنّ تردّي وضعه الصحّيّ حتّم عليه عدم العودة بتاتًا إلى آثوس. أواخر العام ١٩٥٩، إنتقل الأب صفروني وتلاميذه إلى بناء في إسّكس (Essex) في إنكلترا، تبرّع به أحد أولاده الروحيّين مع العقار، فأسّس هناك ديرًا على اسم القدّيس يوحنّا المعمدان، ضمّ مع الوقت رهبانًا وراهبات من مختلف الجنسيّات. رقد الأب البار صفروني في ١١ تمّوز ١٩٩٣، عالمًا مسبقًا

بموعد رقاده.

أمّا البار إيرونيموس، فهو ابن عائلة متواضعة الحال، لكنّها بالغة التقوى، من قرية صغيرة في نواحي «كيري» الواقعة في آسيا الصغرى (تركيا الحاليّة). وُلد عام ١٨٧١، وقد سمّاه والداه يوحنّا في المعموديّة. منذ نشأته، كان يبدو سابقًا لسنّه ذكاءً ونُضجًا، حتّى إنّه ما إن أنهى تعليمه الابتدائيّ حتّى كلّفه معلّمه بالتدريس لفترة قصيرة في قرية مجاورة. لا شكّ أنّه تأثّر كثيرًا بمناخ الإيمان والتقوى العائليّ، وأيضًا في هذا بدا سابقًا لعمره. أخذ عن أمّه حبّ الصوم والصلاة والفضيلة وعِشرة القدّيسين، فصارت هذه كلّها، مع الخدم الإلهيّة الكنسيّة، ذروة فرحه ومحور حياته. كان دائم التوق إلى لقاء الآباء الروحيّين واسترشادهم. عندما كان في الثانية عشرة من عمره، تنبّأ له القدّيس بارثينيوس الجديد الذي كان ناسكًا في جزيرة «خيوس»، بأنّه سيصبح راهبًا.

عام ١٨٨٨، بعدما تزوّد ببركة والديه ودعائهما، رحل إلى دير «سيمونوس بيتراس» الآثوسيّ، وبعد ثلاثة أسابيع أُلبس ثوب الابتداء. كما في صغره، كذلك في الدير، ظهر البار بالغ الاجتهاد في الأصوام والصلوات ودراسة الكتب المقدَّسة، والتأمّل في الحبّ الإلهيّ، وفي المحبّة لإخوته الرهبان وفي سائر أعمال الطاعة الموكلة إليه. صُيِّرَ راهبًا يوم أحد الشعانين ١٨٩٣، فأُلبِسَ الإسكيم الكبير وأعطي اسمَ القدّيس إيرونيموس. منذئذٍ زادت جهاداته في كلّ مجالات حياته الرهبانيّة، وصارت نعمة الله تظهر عليه أكثر فأكثر كلّ يوم. ثمّ ما لبث آباء الدير أن أوكلوا إليه الاعتناء بالمبتدئين، فكان خير مرشد لهم. تولّى أيضًا أمانة سرّ الدير، ثمّ الإشراف على مصالح الدير خارج الجبل، فالشؤون الإداريّة والماليّة، وهذه كلّها لم تشغله أبدًا عن جهاده الروحيّ الشخصيّ والتزاماته الرهبانيّة. لا بدّ من ذكر أنّه أبدع في تأليف الخِدم الإلهيّة لأعياد عدد من القدّيسين، لا سيّما الجدد منهم، ونظم ألحانها، إضافةً إلى وضعه عددًا من قوانين الابتهالات والمدائح. مطلع العام ١٩٢٠، رشّحه الآباء لرئاسة الدير، وفي نيسان من العام نفسه سيم شمّاسًا فكاهنًا ومُنح رتبة أرشمندريت، ثمّ سُلِّم عصا رئاسة الدير بإجماع الآباء يوم أحد حاملات الطيب.

عام ١٩٣١، اضطرَّه الآباء للذهاب إلى أثينا، بغية إعادة الحياة والروح إلى دير الصعود التابع لدير سيمونوس بيتراس، ذلك من أجل الذين كان يرعاهم الدير إثر مآسي الفقر والتهجير من آسيا الصغرى. ما إن بدأ عمله في أثينا حتّى ذاع صيته كمُرسَل من الله، وصار مجرّد العلم بحضوره مصدر تعزية للرازحين تحت الويلات. إزداد جهاده هناك أكثر، كما ازدادت التجارب وحروب الشرّير عليه. بقي خلالها كلّها ساهرًا على يقظته الداخليّة وتواضعه ومحبّته للآخر كائنًا مَن كان، يقابل اليأسَ بالتعزيات والرجاء، والحسدَ بالرحمة والمحبّة. يوم الأحد، في ٦ كانون الثاني ١٩٥٧، رقد البار إيرونيموس وعلى وجهه فرح لا يوصف، بعد القدّاس الإلهيّ مباشرةً.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

حتى ولو كنت تكابد الإهانات. إذًا، عليك أن تهدئ قلبك عندما ينفجر غيظًا. إغصِب أهواءك على تشريف وصون عقلك، تمامًا كما يحترم الشابّ الرديء السلوك حضور شيخٍ تقيّ. علينا إبقاء الغضب مكبوحًا فينا – كما لو كنّا أردنا بالقول حصانًا – وذلك في الإبقاء عليه ملجومًا بواسطة عقلنا، الذي سيقتاده إلى حيث يشاء. لكن، الغضب هو مصدر قوّةٍ للنفس حين تتحالف مع العقل ضدّ الخطيئة. ما لم يستيقظ غضبك ضدّ الشرير، فمن المحال عليك أن تكرهه بالضراوة التي يستحقّها، إذ ينبغي أن يكون بغضنا للخطيئة قويًّا بمقدار حبّنا للفضيلة. إذًا، الغضب نافعٌ جدًّا للتسبّب في ذلك، شريطة أن يتبع توجيه العقل بدقّة، فيصبح هادئًا، طيّعًا، مطيعًا نداء العقل بيُسر، وهذه حَسَنةُ الغضب إن عرف المرء كيف يضبطه.

القديس باسيليوس الكبير